

أثر الأيديولوجية في نقل معاني مبهات القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية

The impact of ideology on the translation of MUBHAMAT AL-QUR'AN into French

عبدلی صومیه¹

جامعة الجزائر 2-الجزائر somia.abdelli@univ-ager2.dz

تاريخ النشر 2025/11/20

تاريخ القبول 2025/10/29

تاریخ الاستلام. 2025/06/14

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في كيفية تعامل المترجمين مع مسألة مبهمات القرآن، واستجلاء تأثير أيديولوجياتهم على نقل معانيها إلى اللغة الفرنسية. ولبلوغ هذا الهدف، أُجريت مقارنة باستخدام نموذج دوكايت Dukate لتحليل الأيديولوجيا بين آيتين وأربع ترجمات أنجزها مترجمون من خلفيات دينية وأيديولوجية مختلفة. توصلت الدراسة إلى أن طرائق تعامل المترجمين مع الإبهام تباينت بين من اختار توضيحه ومن فضل الإبقاء عليه، كما استجلبت الدور الذي لعبته الأيديولوجيا في توجيه قرارات المترجمين، وهو ما انعكس في تلاعب داخل النص الهدف كتحريرف أساسا، ثم كمعالجة، وتحسين، وتلاعب خارجي بإضافة حواش تفسيرية أثرت في المعنى العام للآيات المهمة.

الكلمات المفتاحية: أيديولوجية المترجم، ترجمة مبهمات القرآن الكريم، نموذج دوكايت في الترجمة، الترجمة الدينية، مدرسة التلاعب.

Abstract

This study aims to analyze how translators dealt with cases of ambiguity in the Quranic message and explore the impact of their ideologies on translating their meaning into French. It compared two verses and four translations produced by translators with different religious and ideological backgrounds to attain this aim, using Dukāte's translation model. The findings demonstrate that the translators dealt with *mubhamat al-qur'an* differently; some chose to clarify it, while others preferred to retain it. Ideology played a significant role in guiding their decisions, which was manifested in textual manipulation, mainly through distortion, handling, and refinement, as well as external manipulation by adding interpretive footnotes that influenced the overall meaning of the verses that contain *Mubhamat*.

Keywords: Translator's ideology, translation of Mubhamat Al-Qur'an, Dukāte translation model, religious translation, manipulation school.

مقدمة

¹ المؤلف المؤسل: عبدلى صومية

تعد الترجمة من أهم الوسائل التي ابتكرها الإنسان لتحقيق التواصل وتبادل المعلومات والمعارف بين الشعوب التي تفصلها الحدود اللسانية والثقافية والدينية والاقتصادية والحضارية. والترجمة كما ينقل عبد الكريم نعماي عن جورج مونا George Mounin قوله، "في الشرق كما في الغرب بدأت الترجمة دينية أي تناولت ما يتصل بالدين والمباحث الدينية..." (نعماي، 199 ص 2010). ونظرًا لأهمية الدين، فقد شكلت النصوص الدينية والمقدسة بؤرة اهتمام الدارسين والباحثين واحتلت ترجمتها إلى لغات عالمية ومحلية الصدارة كما ونوعًا.

فضلاً عن ذلك، رافق الاهتمام بترجمة النصوص الدينية تفكير في الترجمة عامة والترجمة الدينية خاصة، مما أسفر عن استخلاص قوانين وقواعد تفسر عملية الترجمة، وعن وضع نظريات ومقاربات تهدف إلى فهم الفعل الترجمي وتشخيص المشاكل التي تعترض سبيل المترجم وإيجاد حلول لها. إلى جانب الكشف عن العوامل التي تتحكم في صناعة الترجمة وتؤثر في المنتج الترجمي، بحيث تجعل هذا الأخير يختلف عن الأصل وتجعل ترجمات عديدة للنص نفسه تختلف، سواء أُنجزت في نفس الفترة أو عبر فترات وحقب متباعدة.

فقد كشف التاريخ والدراسات المقارنة والتجريبية أن الترجمة ليست عملية بريئة ومحيدة تنقل الكلمات ومعانيها من لغة إلى أخرى، بل هي عملية معقدة تتداخل فيها عوامل لغوية وسياسية وتاريخية ونفسية وتتفاعل فيما بينها (Lefevere, 2006; Baker, 2006; Venuti, 1995; 1992). وليست ترجمة القرآن بمعزل عن تفاعل هذه العناصر، لأن نقله إلى لغات أجنبية يكون على أيادي مترجمين يتمتعون بكفاءات لغوية ومعرفية متباينة، ولهم خلفيات دينية وسياسية محددة، وينتمون إلى مجتمعات تسيطر عليها مجموعة من المعتقدات والقيم التي تنظم سلوك أفرادها، وتساهم في صياغة فهمهم للعالم.

ولعل أيديولوجية المترجم سواء كانت دينية أو سياسية أو ثقافية من بين العوامل التي حظيت بالاهتمام الكافي والدراسة الوافية، والتي تبحث في الأثر الذي تتركه في المنتج الترجمي ومعيار الأمانة للنص الأصلي، خاصة عندما يكون ذلك المنتج هو نتيجة نقل لكلام الله المعجز بألفاظه ومعانيه ومقاصده إلى لغات عالمية كثيرة. فمثلاً كشفت الدراسة التي أنجزها فهمي غونوان Fahmi Gunawan أن "القضايا المتعلقة بالأيديولوجيات اللاهوتية التي حفزت المترجمين ساهمت في إبعاد ترجمات القرآن عن حالتها الموضوعية. كما أن الخلفيات الاجتماعية والثقافية والسياسية والبيئية للمترجمين جعلت أعمالهم أكثر ذاتية. وقد أدت هذه الاعتبارات إلى إمكانية حدوث ترجمة قرآنية متعددة اللغات بسبب الاختلاف الجوهرية في الأيديولوجيات اللاهوتية." (غونوان، 2022، ص 11، 12). وتزداد صعوبة النقل وتتعدد المهمة على مترجم معاني القرآن الكريم عندما تكون المعاني المنقولة مضمرة في الأصل، ويكون إهامها جزءًا من إعجازها، وعندما تحرك المترجمون غايات تخالف غاية ومقاصد الرسالة التي أتى بها الأنبياء. هذه الظاهرة تعرف بـ "مبهمات القرآن"، وهي تشير إلى ما لم يذكره الله بالاسم في كتابه تصريحًا.

بناءً على هذا الطرح، تهدف هذه الدراسة إلى معاينة تأثير أيديولوجية المترجم في نقل معاني مبهمات القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، والكشف عما إذا كانت هناك دوافع واعتبارات أيديولوجية وجهت المترجمين في اتخاذ قراراتهم الترجمة. وفي هذا السياق، يسعى هذا البحث إلى الإجابة على الأسئلة التالية:

1 - كيف تعامل المترجمون مع ظاهرة مبهمات القرآن الكريم عند نقلها إلى اللغة الفرنسية؟
2- ما هي الاستراتيجيات الترجمة التي وظفها المترجمون للتعبير عن تلك الظاهرة القرآنية باللغة الفرنسية؟
3- هل القرارات التي اتخذوها و التغييرات التي أحدثوها نابعة من دوافع أيديولوجية أم أنها نتيجة اعتبارات أخرى؟
تفترض هذه الدراسة أن ترجمة مبهمات القرآن لا تتم بصفة ميكانيكية وحرفية، بل أن المترجمين الذين تعنى بهم هذه الدراسة قد تعمّدوا إحداث تغييرات وتبني استراتيجيات تعبر عن دوافع أيديولوجية، وهو يثبت أن للأيديولوجية أثر في فعل الترجمة وممارستها، وأن هذه الأخيرة تنطوي على درجة من التلاعب. وللإجابة عن هذه التساؤلات سنقوم بدراسة آيتين قرآنتين وردت فيها المبهمات ومقارنتهما مع أربع ترجمات لها قام بها مترجمون ينتمون إلى بيئات ثقافية ودينية مختلفة وتحركهم أيديولوجيات متنوعة، من بينها ترجمة أندريه شوراكي، ترجمة مولنا محمد علي وترجمة جاك بيرك وترجمة الشيخ بورعما عبده داود.
ولتحقيق هذا المسعى البحثي، تتوسل الترجمة المنهج الوصفي التحليلي وهو المنهج الذي يصف ظاهرة معينة كما هي في الواقع وصفا دقيقا والتعبير عنها كيفيا ونوعيا. وسيركز البحث على توظيف أحد نماذج مدرسة التلاعب وهو نموذج الباحثة دوكايت (Dukate) (2007) في تحليل النصوص المترجمة نظرا لأهميته في الكشف عن التلاعب في الترجمة، حيث تعد الأيديولوجية أحد مؤثراته الأساسية. تظهر أهمية هذه الدراسة في توضيح الأثر المحوري المتوخى من معرفة أيديولوجية المترجم قبل قراءة ترجمته، وفي توضيح المعاني التي يريد توصيلها إلى القارئ، والتي قد لا تتوافق أحيانا مع المعاني القرآنية الأصلية، التي ثبثها المفسرون في مصنفاتهم. وبالتالي، فهي تساهم في التأثير في فكر القارئ وسلوكه وصياغة نظريته العامة عن معاني القرآن ومقاصده.
وقبل الإجابة عن أسئلة البحث، فإن الخطوة الأولى، ألا وهي الإطار المفاهيمي، تستعرض مفهوم الأيديولوجية والتعريفات الموضوعة له، زيادة على علاقته بترجمة القرآن عموما ومبهمات القرآن خصوصا.

1. الأيديولوجية والترجمة

1.1. تعريف الأيديولوجية

إن الأيديولوجية من المفاهيم والمصطلحات التي يصعب تعريفها نظرا لتعدد الآراء حول ما تمثله والسياقات التي تستعمل فيها، إلى جانب التطور والديناميكية التي عرفها مفهومها منذ ظهوره أول ما ظهر على يد الفيلسوف الفرنسي أنطوان لويس كلود دستان دي تراسي (2011) Antoine Louis Claude Desttut De tracy الذي صك المصطلح سنة 1776 وعرفه من منظور فلسفي ليعني به "علم الأفكار" كمقابل لعلم اللاهوت، هذا الأخير الذي كان يمثل المنظار الوحيد الذي يطل به على المجتمع والعالم وتفسر ظواهره.

ومع بروز الفلسفة الألمانية وظهور مفكرين عظام غيروا مجريات التاريخ عبر تغيير الأنظمة الفكرية والاجتماعية والسياسية السائدة قبل الثورة الفرنسية وإبائها أمثال هيجل (1770-1831) وودفيغ فيورباخ (1804-1872) وكارل ماركس (1818-

1883) وفريدريك إنجلز (1820-1895) تطور مفهوم الأيديولوجية، وأصبح يستعمل في سياق سياسي ليعني عند كارل ماركس وبعض رواد المدرسة الماركسية أمثال لويس ألتوسر- الذين انطلقوا من مقدمات تأسست على نقد الفلسفة الهيكلية المثالية ودراسة الواقع دراسة علمية ومادية- الوعي الزائف (fausse conscience) وتضليل الواقع (distortion) أي واقع العلاقات الاجتماعية، وتمثيلها على أنها علاقات عادلة وطبيعية أي تبرير وجودها ، بالرغم أنها من مخلفات النظام الاجتماعي الجائر المتكون حسب من طبقة برجوازية تملك الفكر والمال، وتمارس بها الهيمنة، وطبقة كادحة تعيش في وهم الطبقة البرجوازية وخاضعة للقيود المفروضة عليها فكريا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا. (طرايشي 1978، العروي 2012)

استمر النظر إلى الأيديولوجية على أنها ذلك التفكير الذي يختص به الآخر الضال والزائف الذي يتخبط في الوحل الأيديولوجي والذي يبحث عن الهيمنة والقوة، مقابل الأنا الذي يمتلك الحقيقة ويرى الواقع بعين الصواب. هذه النظرة للأيديولوجية استمرت حتى بداية القرن العشرين، وهي التي وصفها الفيلسوف الفرنسي بول ريكور Paul Ricœur بالقول: "لا يتم تبني الأيديولوجيا أبداً بصيغة المتكلم؛ إنما دائماً أيديولوجيا شخص آخر. فحتى عندما تُفهم بمعنى أقل قوة، تظل الأيديولوجيا دائماً خطأ الآخر. إذ لا أحد يعترف أبداً بأنه واقع تحت وطأة الأيديولوجيا" ترجمتنا (بول ريكور، 1997، ص 19).

ويوسع الفيلسوف سلافوي جيچيك Slavoj Zizek، المتأثر بعالم التحليل النفسي سيغموند فرويد Sigmund Freud، من مفهوم الأيديولوجية ليشمل البعد النفسي والرمزي، حيث يكون الأفراد الذي يقعون تحت تأثير الأيديولوجية على دراية بوجود أيديولوجية كونية تستغلهم، لكن لا يفعلون أي شيء لمقاومتها، لأنهم يستمتعون بها. فيصف الأيديولوجية بأنها "المصفوفة المنتجة التي تنظم العلاقة بين المرئي وغير المرئي، والمتخيل وغير المتخيل، إضافة إلى التغيرات والتحويلات في هذه العلاقات." ترجمتنا (جيچيك، 2003، ص 7)

وينقل جيرتر عن فالرز Fallers قوله أن الأيديولوجية لا تعكس الواقع بل تبرر معتقدات وقيم تؤمن بها فهي "ذلك الجزء من الثقافة الذي يهتم بشكل حيوي بترسيخ أنماط من المعتقدات والقيم والدفاع عنها." ترجمتنا (جيرتر، 1964، ص 76)

وبناء على ما سبق، فإن الأيديولوجية من منظور علماء ما بعد الحداثة والبنوية هي أداة ذات إيجابيات، مما يعني أنها ليست بالضرورة أداة لتزييف الواقع ومراة عاكسة للصراع الطبقي كما تصورها النظرية الماركسية التقليدية، فقد تكون آلية تستعمل لتشكيل وفرض نظم فكرية معينة ضمن المجتمع.

أما في عصرنا المعاصر، يستعمل المصطلح بمعانيه السلبية التي ارتبطت به خلال مراحل تطوره ومن جميع الأطراف سواء كانت سياسية أو دينية أو اجتماعية، ليشير إلى تزييف الحقائق والواقع وتغييب الفكر النقدي والتحليل الموضوعي. مما يجعلها تقف كمفهوم وقوة معاكسة للخطاب والفكر العلمي لأن هذا الأخير معرفي بينما الأيديولوجية نفعية. أنها عكسه تمارس التخفي والتكثير والتبرير للإقناع والاستمالة والهيمنة والبقاء ولا تستند دائما إلى الأدلة العقلية والتجارب الحسية.

بعدما تطرقت الدراسة إلى مفهوم الأيديولوجية من منظور فلسفي وسياسي واجتماعي ووقفت على بعض الآراء المختلفة حولها عبر العصور والسياقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المحيطة بها، تعرج فيما يلي إلى استجلاء العلاقة بينها وبين الترجمة.

2.1. علاقة الأيديولوجية والترجمة

رافق الاهتمام بفهم العلاقة بين اللغة والأيديولوجيا في عصر الأيديولوجيات اهتمامًا مماثلًا بفهم العلاقة بين الترجمة والأيديولوجيا، سواء تعلق الأمر بأيديولوجيا النص الأصلي أو أيديولوجيا المترجم ومتلقي النص الهدف .

وقد عزز هذا الاهتمام التحول البارز الذي شهدته الدراسات الترجمة مع ظهور الدراسات الثقافية ودخولها مجال الترجمة على نطاق واسع، لاسيما الدراسات الترجمة الوصفية بقيادة إيفن زهار وغيدون توري ومدرسة التلاعب بأعمال باحثين بارزين مثل سوزان باسنيث وأندريه لوفيفر، الذين أطلقوا على هذا التوجه الجديد في دراسات الترجمة الحديثة اسم "التحول الثقافي"، حيث أُعيد النظر في علاقة النص الأصلي بالنص المترجم، وكذلك في مكانة المترجم ودوره .

تشير الترجمة في مفهومها العام إلى عملية نقل تتم بين اللغات والثقافات تهدف أساسا إلى الافهام وتحقيق التعارف والتواصل بين الشعوب والأمم. يبدأ أن الترجمة لا تقتصر على نقل لغات وثقافات مختلفة فحسب، بل تشمل أيضا أفكار ومعتقدات تؤمن بها فئة أو طبقة معينة، وتعكس نظرتها للكون. وقد تكون هذه المعتقدات في حالة تنافس وصدام نتيجة اختلاف اهدافها ومصالحها مما يستدعي تدخل المترجم ليقوم بما يعرف "عملية التفاوض" حيث يتفاوض بشأن التباينات اللغوية والثقافية في النص الأصلي، محيلا إياها الى مجموعة أخرى من التباينات المستمدة من بيئته المحلية في المقام الأول ومستوحاة من اللغة والثقافة اللتين ينقل النص إليهما، وذلك يتيح للتباينات الأجنبية أن تحل في لغة المترجم وثقافته (غينتسلر، ص114). ولتبسيط عملية الترجمة المعقدة التي يقوم بها المترجم ذهابًا وإيابًا بين نظامين لغويين وثقافيين، تشبّه سوزان باسنيث الحركة التي تتم بين النصوص بحركة البشر، وما يطرأ خلالها من تعارف واتفاقيات ومعاملات موضحة أن "حركة الناس حول العالم تعكس عملية الترجمة ذاتها؛ لأن الترجمة ليست مجرد نقل للنصوص من لغة إلى أخرى، فهي الآن تُعدّ حقًا عملية تفاوض بين النصوص والثقافات، حيث تحدث خلالها مختلف أنواع التعاملات، وتتوسطها شخصية المترجم ."(سوزان باسنت، 2012، ص18)

ولا تتم تلك التعاملات اثناء عملية النقل اللغوي والدلالي للنص فحسب، بل تحدث قبل الترجمة، وأثناءها، وبعدها، وبأشكال متعددة وضحتها فينوتي بالقول "تخضع (أي الترجمة) لفعل نقش المفاهيم والاهتمامات المحلية. يبدأ هذا النقش باختيار النص ذاته للترجمة، وهو اختيار انتقائي مدفوع ببواعث متعددة، ويتواصل من خلال صياغة الاستراتيجيات الخطابية التي تتضمن مفاضلة بين خطاب محلي وآخر، دون غيره من الخطابات المحلية الأخرى" (فينوتي، 2008، ص64). ويضيف "إن كل خطوة من خطوات الترجمة — من اختيار النصوص الأجنبية، إلى تنفيذ استراتيجيات الترجمة، إلى التحرير، إلى استعراض الترجمات وقراءتها — تمر بوسيط يتمثل في القيم الثقافية المتنوعة الجارية في اللغة المستهدفة، ودائمًا ما تكون هذه ذات مراتب هرمية من لون ما. هذه

الديناميات تكشف عن البعد الأيديولوجي للترجمة، مما يعزز فهمنا لتأثير الأيديولوجيات على النصوص المترجمة والعكس. " (فينوتي، 1995، ص 8)

فتأثير الأيديولوجية على فعل الترجمة يتجلى في اختيار وانتماء وتوقع يتجه إما نحو النص الأصلي أو نحو النص الهدف عبر تبني استراتيجيات تؤيد أو تقاوم التأثيرات الثقافية والأيديولوجية. والاستراتيجيات نوعين وهي استراتيجية التغريب وتشير كما نقل يوسف عن فينوتي إلى 'نوع الترجمة الذي يُنتج فيه نص مستهدف يعتمد كسر الأعراف السائدة، من خلال الحفاظ على شيء من الغرابة أو الطابع الأجنبي للنص الأصلي. واستراتيجية التقريب " والتي يتم فيها اعتماد أسلوب واضح ومبسط بهدف تقليل غرابة النص الأجنبي بالنسبة لقراء اللغة الهدف. (يوسف، 2020، ص 77).

قد يُفهم من آراء وأبحاث فينوتي أن الأيديولوجيا تكون دائماً مرئية، ونتيجة لاختيارات واعية ومدروسة من قِبل المترجم. غير أن ذلك، وإن كان صحيحاً إلى حدٍ كبير، لا ينفي حقيقة أن تأثير الأيديولوجيا قد يكون أحياناً غير مرئي، وقد يحدث دون وعي من المترجم. وهنا يظهر ارتباطها بالإكراه، مما يؤدي إلى استجابة غير مرغوبة لضغط المجتمع وأعرافه والسلطة الحاكمة. وهكذا يصبح الوصول إلى المعنى في الفعل الترجمي عملية إكراه، حيث يلعب العامل الأيديولوجي أو الضغط السياسي أو الرؤية الاجتماعية أو التقليد الثقافي دوراً مقاوماً، مما يؤدي إلى إحداث انتقاء يتناسب مع فضاء المتلقي وحساسية القراء، مع إخفاء علاقة السلطة الكامنة وراء إنتاج النص. وتنقل سوزان باسنت عن بورديو وباسيرون قولهما: "كل سلطة قادرة على فرض معانٍ معينة، بل وأن تفرضها باعتبارها معانٍ مشروعة من خلال إخفاء علاقات السلطة التي تعتبر أساساً لقوتها، مما يضيف قوتها الرمزية إلى علاقات السلطة المذكورة" (باسنت، 1997).

ويفضل البعض خاصة أنصار مدرسة التلاعب (من بينهم عدد من الباحثين البارزين مثل ثيو هيرمانز Theo Hermans، جيمس هولمز James Holmes، غيديون توري Gideon Toury) وصف خيارات المترجم والتفاوض الذي يمارسه بين النصوص والثقافات والأيديولوجيات بأنه عملية تلاعب بالنص الأصلي سواء كان نصاً أدبياً أو علمياً أو دينياً، وقد لخصت دوكايت (2007) نظرية هؤلاء في الترجمة بالقول 'بإيجاز، وفقاً لآراء المجموعة، يمكن وصف أي ترجمة بأنها شكل من أشكال التلاعب بسبب العوامل المؤثرة والعمليات التي تحدث في ثلاث مراحل متعلقة بالترجمة: مرحلة ما قبل الإنتاج، مرحلة الإنتاج، ومرحلة ما بعد الإنتاج" (ص-ص. 5-6).

فالترجمة من منظورهم ليست عملية لغوية بريئة وميكانيكية تتم بين لغة وأخرى كما وصفها أقطاب البنيوية (رومان جاكوبسون Roman Jakobson (1959)، كلود ليفي ستراوس Claude Lévi-Strauss (1957, 1963)، جان رينيه لادميرال Jean-René Ladmiral (1979) أنطوان بيرمان Antoine Berman (1984) الذين كان تركيزهم منصبا على البنية اللغوية والأمانة للنص الأصلي، بل إنما هي عملية معقدة تتعدى الحدود اللغوية إلى حدود تشمل العوامل التي تتحكم في إنتاج النصوص مثل السياق الثقافي والتاريخي والمؤلف، والمترجم، والناشر وايديولوجية هؤلاء.

إن هذه العناصر جميعها ساهمت في صياغة نظرية لوفيفر وسوزان باسنيت (1992) لفعل الترجمة، إذ يعدها لوفيفر نوعاً من إعادة الكتابة أو الصياغة؛ أي أنها ليست نقلاً لنص أصلي أنتج في سياق ثقافي وتاريخي محدد، بل كتابة جديدة للنص الأصلي ضمن سياق ثقافي واجتماعي جديد" فكل إعادة كتابة، مهما كانت نيتها، تعكس أيديولوجية معينة وشعراً معيناً، كما أنها توجه الأدب ليعمل في مجتمع معين بطريقة محددة. فإعادة الكتابة هي نوع من التلاعب يُمارس لخدمة السلطة، لكن من جانبها الإيجابي، يمكن أن تساعد في تطور الأدب والمجتمع. (سوزان ولوفيفر، 1995، ص 9)

يقول هرمان Herman "من وجهة نظر الأدب المستهدف، فإن كل ترجمة تتضمن درجة من التلاعب بالنص الأصلي لتحقيق هدف معين. (هرمان، 1985، ص 11)

ولا يتعد تشسترمان (1997) Chesterman عن هذا الرأي والذي يرى أن الترجمة هي شكل من أشكال التلاعب، حيث يمكن للمترجم أن يحرف المعنى المقصود للنص الأصلي.

من جانبها اهتمت ايغا دوكايت Aiga Dukate بظاهرة التلاعب في الترجمة وتعمقت في البحث عن أشكاله وأسبابه فتقول: "في الترجمة والتأويل، كما هو الوضع في أي مجال مهني آخر مثل المالية أو علوم الحاسوب أو الطب، يشير التلاعب ليس فقط إلى التحريف، بل أيضاً إلى التحسين أو مجرد المعالجة." (دوكايت، 2007، ص 4)

إن كل عملية ترجمة وتحليل الترجمات، وفقاً للدراسات الوصفية ومدرسة التلاعب، تتم من خلال أخذ عدة عوامل في عين الاعتبار، من بينها معرفة كاتب النص الأصلي، والمترجم، والقارئ. إضافةً إلى ذلك، تنظر هذه الدراسات إلى السياق الذي أنتج فيه النص الأصلي والسياق الذي أنتجت فيه الترجمة، وتنظر فضلاً عن ذلك في النص ذاته والمعاني التي يحملها سواء المعاني الظاهرية أو الباطنية. وفي سياق بحثنا، تُعد معرفة الأيديولوجيا أمراً لا غنى عنه، حيث تتجلى في أيديولوجية الكاتب الأصلي والنص الذي قام بكتابته.

وتتمثل الأيديولوجية التي يتفاوض عليها المترجم في:

أيديولوجية النص الأصلي ومؤلف النص الأصلي. فالنص الأصلي يولد في سياق ثقافي وتاريخي واجتماعي محدد، ويؤلفه شخص يسمى الكاتب و"الكاتب لا يكتب في فراغ وحسب: فإنه -رجلاً كان أو امرأة- نتاجٌ لثقافةٍ معينة، ولحظةٍ زمنية معينة، وتتجلى في كتابته بعض العوامل الأخرى-مثل الانتماء العرقي، وانتمائه إلى أحد الجنسين، وعمره وطبقته الاجتماعية- إلى جانب الخصائص الأسلوبية والشخصية التي تُميّزه عن غيره. أضف إلى ذلك أن الظروف المادية التي تُصاحب إنتاج النص وبيعه وتسويقه وقراءته تنهض بدورٍ أساسي في هذا الصدد". (باسنيت، 1990)

وأيديولوجية المجتمع المستهدف بالترجمة، فقد تكون للمجتمع الهدف ثقافة وقيم تختلف عن ثقافة ومعتقدات جمهور النص الأصلي، فيضطر المترجم لتطويع النص الأصلي ليتناسب مع معتقدات وأذواق الجمهور المستهدف، وبالتالي تأكيد القيم والمعتقدات التي يؤمن بها.

وأيديولوجيا المترجم والتي ستناولها في النقطة الموالية.

3.1. المترجم والأيديولوجية

إن المترجم هو نتاج بيئة ثقافية واجتماعية محددة، يتفاعل معها بشكل مستمر من خلال الأخذ والعطاء، مما يسهم في تشكيل أفكاره ومعتقداته حول المجتمع والعالم، وما ينبغي أن يكون عليه. وفقًا لأنصار الاتجاه الأيديولوجي في الترجمة، مثل لوفيفر (Lefevere) ميشونيك (Meschonnic) وبرمان (Berman) بانراد (Penrad)، لا يستطيع المترجم، من خلال قراراته الترجمة وخياراته اللغوية والأسلوبية والاستراتيجية التي يتبناها، إلا أن يعكس موقفًا معينًا تجاه لغة وثقافة الأصل أو اللغة والثقافة التي ينقل إليها النص. "فمفهوم حيادية المترجم ضرب من الخيال، حيث تعد الأيديولوجيا جزءًا لا يتجزأ من عملية الترجمة" (ميشونيك، 1973، ص 305).

وعليه ينبغي مراعاة توجهات المترجم في علاقته بالآخر، حيث لا يقتصر دوره على نقل القيم والمفاهيم والمظاهر الثقافية فحسب، بل يشمل أيضًا تغيير توجهات مجتمعه والتأثير في سلوكه وتوجيه فهمه. وتعبير أوضح أن المترجم هو منتج لنص جديد يحمل مشروعًا قد يكون سياسيًا وأيديولوجيًا يجب دراسته قبل فهم أي منتج ترجمي. فعند ترجمة أي عمل، لا يقوم بالعملية بموضوعية وحيادية مطلقة، إذ قد يُسقط المترجم خلفيته الثقافية والدينية ومعتقداته على النص المترجم، فيعدله ويكيفه وفقًا لما يؤمن به، أو بما تفرضه عليه المؤسسة الراعية والممولة أو الناشرة لعمله، مما ينعكس بدوره في طريقة قراءة النص لدى جمهور اللغة الهدف وفهمه له.

فضلا عن ذلك قد يلجأ المترجم إلى الحواشي التفسيرية والمقدمات المرفقة بترجمته للكشف عن أيديولوجيته الخاصة وتوجهاته الفكرية والعقائدية، أو عن الأيديولوجيا التي يتضمنها النص الأصلي وما قد تحمله من عناصر خطيرة. لذلك، أصبحت دراستها ضرورة ملحة للمحلل وناقد الترجمة. وذلك ليس فقط لفهم النص الأصلي، بل أيضًا لفهم العملية الترجمة والخيارات التي يتخذها المترجم، مما يساعد على إدراك موقفه، وأهدافه، والمشروع الذي يسعى إلى تحقيقه من خلال الترجمة.

وفي هذا السياق يقول ميكائيل أوستينوف Michael Oustinoff في التمهيد الذي وضعه للدراسة التي أعدها استريد غيوم Astrid Guillaume: 'لقد ولّى زمن المترجم غير المرئي الذي كانت ملاحظاته الهامشية مستهجنة. فاليوم، أصبح تطوير الدراسات المتعلقة بأصول الترجمة، المعروفة باسم الترادكتوجينيز (Traductogenèses)، ذات وزن ثقيل. وعندما يتعلق الأمر بالنصوص ذات الطابع الأيديولوجي الخطير، فإن هذه التحليلات تصبح ضرورية' (غيوم، 2007، ص 10).

2. المبهمات في القرآن الكريم

1.2. مبهمات القرآن

أشار الأصفهاني أن المبهمات هي "كل ما يصعب على الحاسة إدراكه إذا كان محسوسا، وعلى الفهم إذا كان معقولا فهو مبهم" (الأصفهاني، ص 24).

واصطلاحاً هو كما عرفه السهيلي (ت 518هـ) بقوله "ما تضمنه كتاب الله العزيز من ألم، من نبي، أو ولي، أو غيرهما، آدمي، أو ملك، أو بلد، أو ذكر من لم يسمه الله فيه باسمه، كوكب، أو شجر، أو حيوان له اسم علم، قد عُرف عند نقلة الأخبار، وغيرهم من العلماء الأخبار" (السهيلي، 1938، ص 8).

وبعني من هذا التعريفات أن المبهم في القرآن يشمل ما لم يذكر باسم علمه أو عدده أو مكانه أو زمانه لأسباب استشارها الله.

اهتم المفسرون القدامى بعلم مبهمات القرآن بوصفه وجمعه، بينما اهتم المتأخرون بالتأليف حوله، نظراً لأهميته في تفسير كلام الله ومساهمته في ترجيح أقوال المفسرين، وكذلك تشجيعه على تدبر كلام الله لكشف معاني كتابه. فقسموه إلى نوعين: نوع تركه الله مبهماً لعدم ورود الفائدة من ذكره على المكلفين من عبادته، مثل أسماء أصحاب الكهف واسم كلبهم ولونه. ونوع وقع الإجماع فيه لأسباب عديدة، منها ما كان للستر عليه مثل في قوله ﴿وَآخِرُونَ اغْتَبَوْا بِدُئُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرًا سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (التوبة: 102)، أو لشهرته ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: 19) أو لتعظيمه أو لتحقيقه.

ويستعان لفهم مبهمات القرآن التي لا ضرر من الخوض في تفسيرها بالقرآن الكريم نفسه، لأنه يفسر بعضه بعضاً، وكذلك بالروايات والأحاديث وأسباب النزول التي تمثل السياق التاريخي والاجتماعي الذي شهد نزول الآية واكتنف معانيها. أما المبهم الذي ضرب الله عن ذكره لغياب الفائدة من ذلك فقد أجمع العلماء المسلمون على عدم جواز الخوض فيه بالتفسير يقول ابن حنبل: ثلاثة لا أصل لها "التفسير، الملاحم والمغازي" (مساعد الطيار، 1428هـ، ص 168). غير أن هناك من اتبع التفسير بالرأي المذموم والتفسير باتباع المناهج العلمية والدراسية الغربية في تفسير ما جاء موجزاً، وفي بعض الأحيان غامضاً ومبهماً، خاصة في القصص القرآني من خلال اللجوء إلى الإسرائيليات وأساطير الأمم السابقة كالزرادشتية. ومن خلال استعادة السياق التاريخي والاجتماعي السائد قبل نزول الآيات المبهمة لتفسير مبهم القرآن، وهو ما فعله المستشرقون وبعض رواد المدرسة المعاصرة لتفسير القرآن، مما أسفر عن تقديم تفسيرات متحيزة ومغلوبة، ومن ثم تقديم صورة مبتورة ومشوهة عن الإسلام. فمثلاً، رأى إجناتس جولدتسيهر Goldziher Ignac أن بعض مبهمات القرآن لها جذور في التقاليد الدينية السابقة خاصة اليهودية والمسيحية، ويستدل على ذلك بالتعرض لتفسير الطبري مبيناً موقفه من الإسرائيليات: "يأتي بأخبار مأخوذة من القصص الإسرائيلية من مراجع يهودية الأصل، مثل كعب الأخبار ووهب بن منبه، ولكنه لا يتمسك في ذلك بإعجاب المتقدمين بلا قيد ولا شرط، وكذلك يعتبر كتابه في الأوساط الإسلامية بالنسبة للروايات الإسرائيلية على الأكثر الكنز الغني بهذه المواد، وكذلك يروي عن وهب بن منبه قصصاً نصرانية". (جولدتسيهر، 2016، ص 88)

2.2 ترجمة معاني القرآن الكريم والأيديولوجية

ترجمة معاني القرآن الكريم هي تفسير القرآن بلغة غير لغته، وعرض لما يفهمه المترجم من كتاب الله بلغة يفهمها المخاطب، وانصراف همته إلى حسن التصوير، وبيانه المعاني والمقاصد من النص القرآني بقدر طاقته البشرية، وفي حدود ما يتيح الجهاز القواعدي

لتنك اللغة من طاقات وإمكانات، ولو جاء على احتمال واحد، بحيث يعرض معنى واحدا من جملة معانٍ يحتملها التنزيل، بدون الالتزام بالمحافظة على الأسلوب الأصلي نظما وترتيا، أو دعوى الوفاء بجميع معانيه ومقاصده. ” (سعيد أكنبي عالمي، 2014، ص 83)

وترجمة القرآن تتم بأسلوبين: "إن لوحظ في هذه الترجمة ترتيب ألفاظ القرآن، فتلك ترجمة القرآن الحرفية أو اللفظية أو المساوية، وإن لم يلاحظ فيها هذا الترتيب، فتلك ترجمة القرآن التفسيرية أو المعنوية" (الزرقاني، 1462هـ، ص 114)

لقد شغل بترجمات معاني القرآن الكريم مترجمون مسلمون وغير مسلمين، فأما الترجمات التي أنجزها المترجمون من غير المسلمين، فقد تميزت بأنها ترجمات في بدايتها استعملت للجدليات والمناقشات الدينية خاصة من أهل الكتاب للدفاع عن عقيدتهم ودينهم. ومن ثم استعملت كأداة للتشكيك في رسالة الإسلام، ومن ثم محاربه ومنع انتشاره لذا جاءت تلك الترجمات مبتورة ومحرّفة للعقيدة، رغم سلامتها وسلاستها لغويا وأسلوبيا. ويلخص مشروعها مشروع بتر وهو "إدانة هرطقة الشريعة الإسلامية ومحاربتها" (البحراوي، 2010، ص 101)

أما الترجمات التي أنجزها المسلمون، فهي جاءت في البداية لإفهام غير المسلمين بمحتوى بعض السور القصيرة وتيسير تأدية العبادات، ثم سطرت لنفسها أهداف أخرى خاصة بعد ظهور الترجمات التي أنجزها المستشرقون منها تصحيح الأخطاء التي وقع فيها المترجمون الغير المسلمين سواء عمدا أو جهلا، ودفع الشبهات عن الإسلام والتعريف بتعاليمه وعقيدته الصحيحة عبر ترجمة تنتهج الموضوعية والأمانة للنص الأصلي.

ولقد خضعت ترجمات معاني القرآن إلى اللغات العالمية منها الفرنسية لدراسات وبحوث متنوعة تهدف إلى تقييمها واستخراج نقاط قوتها وضعفها، ومن ثم فهم الأسباب التي أدت إلى إخفاق بعضها ونجاح بعضها الآخر. وقد برزت أيديولوجية المترجم كأحد العوامل القوية والمسيطرة التي سعى الباحثون للكشف عن مدى تأثيرها في المترجم، ومن ثم على فهمه للنص القرآني. هذا التأثير ينعكس بدوره على الفعل الترجمي والمنتج النهائي، والذي يظهر في شكل انحرافات وتأويلات تتوافق مع معتقدات المترجم وأهدافه ومصالحه أو مصالح وغايات المؤسسة الراعية لترجمته. ومن الدراسات التي تناولت تأثير البعد الأيديولوجي في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات مختلفة عبر مقارنة ترجمات أنجزها مترجمون لهم خلفيات دينية وثقافية مختلفة نذكر: دراسة الحسن حراق El - (2013) Hassan Herrag، ومجيد بورمحمد (2016) Majid Pourmohammadi - ، آمنه محقق Ameneh - (2020) Mohaghegh، محمود إبراهيم رسك النمر (2020) Mahmoud Ibrahim Resk Elnemr - ، فهمي غوناوان إيتاندرو أزازي (2020) Fahimi Gunawan Etandro Azazzi - والتي توصلت جميعها، وإن اختلفت في بعض النتائج بسبب اختلاف القضايا القرآنية المركز عليها بالبحث والرصد، إلى أنها تشترك في النتيجة التي مفادها أن الخلفيات السوسيوثقافية والدينية تؤثر في ترجمة القرآن الكريم. وهو ما يفسر التباين بين الترجمات، ويؤكد المقاربة الأيديولوجية عند غير المسلمين خاصة، والتي سعت في معظمها إلى تحريف المعاني القرآنية والعدول عن مقاصد الكتاب الكريم.

وبعد استعراض المفاهيم النظرية المتعلقة ببحثنا، تنتقل الدراسة إلى تحديد منهجية التحليل، ثم دراسة النماذج المختارة ومناقشتها.

3. تحليل النتائج ومناقشتها

1.3 منهجية البحث والتحليل

في هذا الجزء، تتعرض الدراسة إلى تحليل الترجمات التي أعدها مترجمون ينتمون إلى مدارس فكرية ودينية مختلفة، مثل المترجم السني الشيخ بورما محمد عبده داود، والمترجم اليهودي اندري شوراك، والمترجم المسيحي جاك بيرك، والمترجم الاحمدي مولنا محمد علي. اخترنا هذه الترجمات لمقارنتها بالنص الأصلي باستخدام نموذج دوكايت (Dukate Model) وهي باحثة تناولت هذا النموذج في إطار بحث أكاديمي لنيل أطروحة الدكتوراه ونشرتها سنة 2007. تعتقد الباحثة التي تنتمي إلى مدرسة التلاعب بأن الترجمة تنطوي على درجة من التلاعب بالنص الأصلي وهو تلاعب يتم بصورة واعية وأحياناً غير واعية. يُصنّف النموذج التلاعب إلى نوعين رئيسيين:

- (1) التلاعب الداخلي للنص: ينقسم إلى ثلاثة أصناف: تلاعب كتحرير وتلاعب داخلي كتحسين وتلاعب ك معالجة.
- (2) التلاعب الخارجي للنص: يشمل التلاعب بالسياق الثقافي، والاجتماعي، والإيديولوجي المحيط بالنص.

3.2 تحليل ومناقشة

النموذج الأول: قال تعالى: ﴿صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: 7)

Le chemin de ceux à qui Tu accordes des faveurs, Non pas ceux sur qui ta colère descend, ni ceux qui s'égarent (Mulhana, trad Valois, 1990 P 3)
le chemin de ceux que tu ravis, non pas celui des courroucés ni des fourvoyés. (Chouraqui 1991, P 30)
la voie de ceux que Tu as gratifiés, non pas celle des réprouvés, non plus que de ceux qui s'égarent. (Berque 1995, p 24)
La vois de ceux que tu as combles de Tes grâces, non pas (la voie) de ceux qui ont encouru Ta colère (tel les Juifs), ni des égarés (Tels les Chrétiens). (Daouda, 1999, p14)

في هذه الآية، يشير الله تعالى، كما جاء في تفسير ابن كثير، إلى صراط الذي أنعم الله عليهم بأن بان هداهم إلى عبادته وتوحيده، وهم الملائكة والأنبياء والشهداء والصدّيقون والمسلمون، بخلاف سبيل اليهود والنصارى ومن شابههم .

وعند دراسة خيارات المترجمين في ترجمة عبارتي "المغضوب عليهم" و "الضالين" إلى الفرنسية، نلاحظ تقارباً في أساليبهم، حيث تعاملوا مع هذه العبارات القرآنية العميقة الدلالة من خلال تلاعبات داخل وخارج النص، باستخدام أساليب ترجمة مختلفة تراوحت بين الاستبدال والإضافة والتكافؤ .

اختار المترجم مولانا أحمد كلمتي "colère" و"s'égarer" كمقابل لها، ناقلاً المعنى نقلاً حرفياً مع تعديل الصياغة بما يتناسب مع قواعد اللغة الفرنسية، أي أنه قام بتحسين لغوي وبلاغي. وباعتبار نموذج Dukate، فإن هذا يُعد تلاعباً داخلياً يهدف إلى تحسين النص.

وعند التدقيق في التركيب اللغوي الذي اختاره كمقابل للعبارة القرآنية، يتضح أنه أجرى معالجة تأويلية توضح أن غضب الله على اليهود شامل ومستمر، وأن ضلالة النصارى ومن شابههم أيضاً مستمرة. ولعل إضافته لحاشية تفسيرية في النص يعزز ذلك الفهم للآية. وهو ما يعد، وفقاً لنموذج Dukate، تلاعباً خارجياً يهدف إلى فك الإبهام واستعادة السياق الثقافي والتاريخي المحيط بالنص، مع استغلال الفرصة لتمرير معتقدات الطائفة الأحمدية حول وفاة عيسى عليه السلام، إذ تؤمن هذه الطائفة، خلافاً للاعتقاد السني، بأنه لم يُصلب ولم يُرفع إلى السماء، بل مات ميتة طبيعية.

من الواضح أن المترجم، من خلال خياراته اللغوية والأسلوبية وإضافته لحاشية تفسيرية، يسعى إلى تبرير معتقداته والتأثير على القارئ، وتوجيه فهمه وفقاً لقيم المترجم وانتمائه العقدي.

أما شوراكى، فقد عبّر عن المعاني القرآنية من خلال استبدال عبارة "المغضوب عليهم" بكلمة "Courroucés"، التي تعني "الغاضب على شخص أو شيء ما" وذلك وفقاً لقاموس الأكاديمية الفرنسية Dictionnaire de l'Académie Française هذا التغيير في المعنى الظاهري للآية يكشف عن تلاعب داخلي في النص يصل إلى حد التحريف.

ولا يُستبعد أن يكون شوراكى قد تعمد هذا التغيير للتعبير عن رفضه للتأويل الشائع لهذه الآية وأسباب النزول التي تربط صفة "المغضوب عليهم" بالشعب اليهودي. فمن خلال التلاعب داخل النص، سعى شوراكى إلى إحداث تلاعب خارجي تمثل في تغيير السياق الثقافي والتاريخي عبر معالجة تأويلية تتماشى مع أيديولوجيته وأيديولوجية الحركة الصهيونية التي ينتمي إليها.

إن هذه القرارات الترجمية التي تجلت في تغييرات دخل وخارج النص تهدف من دون شك إلى التأثير على القارئ الفرنسي الناطق باللغة الفرنسية، وتوجيه فكره وسلوكه بما يخدم أهدافه السياسية ونزعاته الأيديولوجية. أما ترجمته لكلمة "الضالين" بـ"Fourvoyés" والتي تعني حرفياً "الانحراف عن الطريق الصحيح"، فهو اختيار يتناسب مع الدلالة القرآنية. فقراره هذا يعكس توافقاً بين الاعتقادات الإسلامية واليهودي بشأن ضلالة المسيحيين.

من جهته اختار المترجم بريك كلمة reprouvés التي تعني "المرفوضين" أو "المبعدين" أو "المدانين" كمقابل لكلمة "المغضوب عليهم" وترجم "الضالين بالتركيب" ceux qui s'égarent. فعلى الرغم من أن هذا الخيار يقترب من المعنى القرآني، إلا أنه لا يطابقه تماماً. ويمكن تفسير هذا الخيار على أنه تلاعب داخل النص عبر تقنية التخفيف (Attenuation)، حيث حرص المترجم على تكييف خياره ثقافياً لجعله أكثر قبولاً لدى القارئ الفرنسي، خاصة اليهودي الذي قد تجرح مشاعره العبارة القرآنية القوية. هذا الخيار يكشف عن اعتقاد المترجم وأيديولوجيته الرافضة للاعتقاد الشائع بخصوص اليهود والنصارى والتفسير الرائج لهذه الآية، وهو ما يظهر في الحاشية التي أضافها. وهذا الأخير أي قرار إضافة حاشية يمثل تلاعباً خارجياً بالنص يهدف إلى تغيير السياق

التاريخي والثقافي للنص القرآني، وبالتالي توجيه فكر القارئ وتحريك مشاعره واستعطافه تجاه اليهود والنصارى وبالتالي تبرئتهم من تلك الصفة.

أما بورعما داود، فقد فضل التلاعب بالنص باستخدام تقنية الإضافة وتقنية التكافؤ باختيار كلمات دقيقة تدل على استمرار غضب الله وضلالة المنحرفين عن طريقه، وقد عزز هذه المعاني إضافته للكلمات (كاليهود) و (وكانصارى) التي لم ترد في النص الأصلي، والتي بدورها أثرت في قراءة النص، ووجهت فهم القارئ مباشرة نحو معتقدات المترجم والمذهب الذي ينتمي إليه. ويمكن النظر إلى هذه الإضافة على أنها تلاعب يصل إلى حد التحريف من وجهة نظر القارئ الفرنسي غير المسلم، أو تلاعب يهدف إلى الإيضاح وفك الغموض في نظر القارئ المسلم السني. فإلى جانب الألفاظ المختارة والتراكيب المستخدمة وإضافة كلمات ضمن الآية، قام المترجم بالتلاعب بالنص من خلال إدراج حاشية مفصلة تشرح معنى الآية والتي تقضي بأن الله يحذر المؤمنين من اتباع سبيل "الذين غضب الله عليهم" أي هم اليهود الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، وسبيل "الضالين" وهم النصارى الذين هاموا في الضلالة بسبب جهلهم وانحرافهم عن التوحيد، وكل من كان على شاكلة هؤلاء من المسلمين، مستشهدا بالأحاديث النبوية وبالروايات وأسباب النزول المتصلة بالآية (ص 14). يعمل التلاعب الخارجي الذي قام به المترجم على تبرير خياراته اللغوية والأسلوبية، إضافة إلى الكشف عن تأثيره بالتأويل الشائع في مذهب السنة، لاسيما تفسير ابن كثير.

النموذج الثاني

النص الأصلي: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُتَوَتِّي وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. (البقرة-73)

Alors nous avons dit « Frappe- l en partiellement» (Mulhana,trad Valois 1990, p35)
Nous avons dit : « Frappez le cadavre avec un membre de la génisse.»(Chourquai 1991, P 42)
Nous dîmes : « Frappez-le avec un tronçon de la bête ». (Berque, 1995, p 24)
Nous dimes donc 'Frappez-le (le tue) avec une partie de [la vache]. (Daouda1999, p 30)

يشير ظاهر الآية إلى ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما -حيث قال: "لما ضرب المقتول ببعضها -يعني ببعض البقرة -جلس حيًا، فقبل له: من قتلك؟ قال: بنو أخي قتلوني، ثم قبض." وكان هذا إثباتاً للبعث بعد الموت لبني إسرائيل الذين أبوا أن يؤمنوا بذلك، فشهدوا آية الله بأعينهم عن طريق المشاهدة. وقد ذكر ابن كثير أن الإبهام في الآية مقصود، إذ لا فائدة تعود على الناس في الدنيا أو الآخرة من تحديد الجزء الذي ضرب به القاتل. لذا، فمعنى الآية والغرض منها أولى من معرفة التفاصيل الدقيقة للحادثة. وخلاصة القول، أن الإبهام في هذه الآية أسهل للفهم من التحديد الصريح. وعند فحص الترجمات، يظهر وقوع تلاعب في النص من خلال تقنية الإضافة حيث أضاف المترجمون كلمات لم ترد في الأصل، وهو نوع من التلاعب الداخلي بالنص، أو من خلال إضافة حاشية تفسيرية تُعد شكلاً من أشكال التلاعب الخارجي للنص، وفقاً لنموذج "دوكايت".

والبداية مع المترجم بيرك الذي آثار الإبقاء على الإبهام في ترجمة "فاضربوه" أي أنه انتهج سبيل النقل الحرفي باستعمال الضمير إشارة للقتيل، بينما ترجم عبارة "بعضها" بالعبارة "Un tronçon de la bête" أي بإضافة الكلمة العامة La bête. الإضافة تبدو، للوهلة الأولى، معالجة تفسيرية وليست تحريفاً، إلا أن اختياره لكلمة عامة كمكافئ للمفردة القرآنية "البقرة" -وهي عنوان ومحور السورة التي وردت فيها هذه الآية- قد يُفسَّر على أنه تلاعب داخلي بالنص، يرمي إلى إخفاء ارتباطه بالبقرة، وهي القضية المتصلة ببني إسرائيل. كما أن فحص خيارات المترجم في ترجمة الآية السابقة، يكشف موقفه المدافع عن اليهود وهدفه الرامي إلى تبرئتهم، مما يجعل ترجمته موضع انتقاد بسبب افتقارها للموضوعية والعلمية. وهما عنصران ينبغي توفرهما في أي ترجمة.

انتهج كل من "شوراكى" و"بورما داود" فك الإبهام في الجزء الأول من خلال تقنية الإضافة، حيث قام "بورما" بإضافة "le tué"، بينما أضاف "شوراكى" "Le cadavre"، أي "الجثة". يمكن تفسير قرار "بورما" على أنه معالجة تهدف إلى توضيح المعنى المضمّر في الآية، كما فصلته أسباب النزول، بينما خيار "شوراكى" للكلمة العامة التي تشير إلى جسد فارق الحياة بدون تحديد أن الشخص قد تعرض للقتل كما تشير مناسبات النزول والروايات، أي السياق الخارجي للآية. فهذا الخيار هو تلاعب كتحرّيف قام به المترجم بكل وعي منه، إذ يبدو أنه سعى من خلاله إلى تبرئة بني إسرائيل من جريمة القتل، والاستمرار في إنكار يوم البعث، كما فعل بنو إسرائيل عند وقوع الحادثة.

كما انتهج "بورما داود"، استراتيجية الإضافة مجدداً بإضافة "la vache"، وهو خيار يتماشى مع هدف توضيح المعنى دون الدخول في تفاصيل غير ضرورية. في المقابل، اختار "شوراكى" مصطلحاً "la génisse" الذي يعني "صغيرة البقرة"، وهو ما يعكس موقفه من النص، إذ يبدو أن خياره متأثر بالمصطلحات التي شاعت في العهد القديم المترجم إلى الفرنسية. فقراره لم يكن مجرد اختيار لغوي، بل كان محفّزاً بمعتقدات دينية ونزعات أيديولوجية تعزز فكرة أن اليهودية هي الأصل، بينما الإسلام هو الفرع أو النسخة المنقحة. فضلاً عن ذلك يعرف عن المترجم أنه من أنصار مشروع توحيد الأديان لذا سعى إلى توحيد المصطلحات الدينية بين الكتب المقدسة الثلاثة الكتاب المقدس بعهديه والقرآن الكريم. أما "مولنا" فقد انتهج الترجمة الحرفية لعبارة "ضربوه"، وتلاعب بالنص عبر اختيار "partiellement"، مما يدل على أنه ينفي حادثة الموت الحقيقية، وبالتالي تغيير المعتقدات المرتبطة بمعجزة "إحياء الموتى في هذه الدنيا". كما لجأ إلى التلاعب خارج النص من خلال تعديلات في الخلفية المعلوماتية والسياق التاريخي، حيث أضاف حاشية استغل فيها الفرصة للتعبير عن معتقد "الأحمدية" فيما يتعلق هذه المسألة.

في الختام، يمكن القول إن مناهج المترجمين في نقل معاني الآيات التي ورد فيها الإبهام، سواء كان إبهاماً لا فائدة من بيانه، أو إبهاماً يحمل دلالة معينة، تختلف باختلاف الخلفيات الدينية والأيديولوجية لكل مترجم، فالتعديلات التي أجراها المترجمون، سواء من خلال الإضافة أو الاستبدال أو التخفيف، تكشف عن تأثير العوامل الأيديولوجية في إعادة تشكيل المعاني، وبالتالي التأثير في القراء وتوجيه فهمهم بما يتناسب مع معتقدات المترجمين الدينية وأهدافهم السياسية والثقافية.

4. خاتمة

سعت هذه الدراسة إلى البحث في تأثير الأيديولوجيا في نقل معاني الآيات التي ورد فيها الإبهام، وإبراز الطريقة التي تعامل معها المترجمون بعد تحليل أربع ترجمات أنجزها مترجمون ذوو خلفيات دينية وأيديولوجية مختلفة. وبعد مقارنة تلك الترجمات بآيتين ورد فيهما الإبهام باستعمال نموذج دوكايت في وصف وتحليل النصوص، توصلنا إلى النتائج التالية :

يختلف تعامل المترجمين مع الآيات المبهمة في القرآن حسب خلفياتهم الفكرية والأيديولوجية، وكذلك حسب طبيعة الآية نفسها. فهناك من اختار الإبقاء على الإبهام والغموض، بينما فضل آخرون فك الإبهام وإزالته. وهذا يثبت أن مسألة الإبهام مرتبطة بفهم المترجم وقراره إما الإبقاء على طابع النص الأصلي عبر الالتزام بالترجمة الحرفية وترك تفسيره للقارئ، أو إزالته استجابة لمخففات أيديولوجية ودينية وأغراض سياسية، مما يؤدي إلى توجيه فهم القارئ وفقاً لرؤية وغايات المترجم . مارس المترجمون تلاعبات بالنص، سواء داخل النص أو خارجه، مما يكشف أن الترجمة ليست فعلاً بريئاً، بل عملية معقدة تتداخل فيها عناصر لغوية، ومعرفية، وأيديولوجية. وتعبير دوكايت ومدرسة التلاعب تنطوي على درجة معينة من التلاعب .

تمثلت التلاعبات داخل النص بأساليب ترجمة متنوعة، مثل الإضافة والتعديل والتخفيف. وقد حدثت هذه التغييرات إما بهدف المعالجة اللغوية والبلاغية، أو بدافع التحريف لأسباب دينية وأيديولوجية. وقد تأكد وقوع التحريف لدى المترجمين غير المسلمين، وكذلك لدى المترجم الأحمدي .

أما التلاعبات خارج النص، فقد تجلّت في إضافة حواشٍ غيرت بعض السياقات التاريخية والمعلوماتية للنص الأصلي، وهو ما ظهر بوضوح في ترجمات المترجم "الأحمدي" والمترجم "بيرك". وفي الأخير يتضح جلياً أن الترجمة ليست مجرد نقل للكلمات أو عملية تتم على المستوى اللغوي والدلالي فحسب، بل هي عملية معقدة تتضمن تلاعباً بالنص الأصلي، وتتأثر بالعديد من العوامل منها عامل الأيديولوجية، والتي تبين الأثر الذي لا يمكن الاستهانة به في إعادة تشكيل المعاني وتوجيه قرارات المترجمين؛ ومن ثم توجيه فهم الجمهور الذي ينقل إليه النص القرآني. فاذا ساهمت هذه الدراسة في تجلية أثر الأيديولوجية في نقل معاني مبهمات القرآن الكريم، إلا أنه يصعب إصدار أحكام نهائية في هذه المسألة، لذا وبهدف استكشاف الأثر الفعلي للأيديولوجية، من المفيد بل الضروري دعم التحليل بأمثلة إضافية من الآيات التي ورد فيها الإبهام وتوسيع مقارنتها بترجمات أخرى كثيرة، خاصة في حال وجود اختلافات لغوية وأسلوبية كبيرة بين المترجمين وفي حالة ارفقت الترجمات بمقدمات وحواشي تفسيرية تنطوي على معلومات قد تؤثر سلباً على فهم معاني القرآن الكريم.

المراجع والمصادر

المراجع والمصادر العربية:

- ابن كثير. (ب.ت). تفسير ابن كثير. تم الاسترجاع من الرابط: <https://www.quran-tafsir.net/> (2025-03-25)
- أكنبي، س. (2014). _ الاحتمال الدلالي للقرآن الكريم: آليات التأويل وإشكاليات الترجمة_. الجزائر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- ابن فارس، أ. (1979). معجم مقاييس اللغة (تحقيق عبد السلام محمد هارون). بيروت، لبنان: دار الفكر .

- باسنيت، س. (1990). *التوجه للترجمة في الدراسات الثقافية*. في بناء الثقافات: مقالات في الترجمة الأدبية (الفصل الثامن). مؤسسة هنداوي. تم استرجاعه من الرابط: <https://www.hindawi.org/books/58605972/8/> (2025\02\20)
- الزرقاني، م. (1948 هـ). *مناهل العرفان في علوم القرآن*. القاهرة، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة .
- جولد تسيهر، أ. (2016). *المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن* (ترجمة علي حسن عبد القادر، الطبعة الثانية). بيروت، لبنان: المركز الأكاديمي للأبحاث .
- الطيار، م. (1428 هـ). *شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية* (الطبعة الثانية). الدمام، السعودية: دار ابن الجوزي .
- السهيلي، أ. (1938). *التعريف والإعلام بما أجم في القرآن من الأسماء والأعلام* (راجع محمد ربيع المدرس، الطبعة الأولى). القاهرة، مصر: مطبعة وورشة تجلية الأنوار .
- الراغب الأصفهاني. (503 هـ). *مفردات في غريب القرآن* (تحقيق محمد سيد كيلاي). بيروت، لبنان: دار المعرفة .
- غينتسلر، إ. (2007). *في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة* (ترجمة س. مصلوح، مراجعة د. بدوي). بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة .
- نعماي، ع. (2010). *خطاب النص المقدس من الترجمة إلى التبليغ*. بشار، الجزائر: جامعة بشار .
- باسنت، س. (2012). *دراسات الترجمة* (ترجمة وتقديم فؤاد عبد المطلب). دمشق، سوريا: الهيئة العامة السورية للكتاب .

المراجع الأجنبية

- ATILF. (n.d.). Dictionnaire de l'Académie Française Nancy, France : ATILF (UMR 7118, CNRS et Université de Lorraine). Retrieved (03, 03, 2025,) from <https://academie.atilf.fr/>
- Bassnett, S., & Lefevere, A. (Eds.). (1995). *Translation, history and culture*. London, UK: Cassell.
- Berque, J. (2002). *Le Coran : Essai de traduction*. Paris, France : Albin Michel.
- Chesterman, A. (1997). *Memes of translation: The spread of ideas in translation theory*. Amsterdam, Netherlands: John Benjamins.
- Chouraqui, A. (1991). *Le Coran : L'Appel*. Paris, France : Robert Laffont.
- Daouda, C. B. A. (1990). *Le Sens des versets du Saint Quran*. Riyadh, Saudi Arabia: Daroussalam.
- Destutt de Tracy, A. L. C. (1817/2011). *A Treatise on Political Economy* (J. Jefferson, Trans.; J. Jennings, Ed.). Indianapolis, IN: Liberty Fund. Google Scholar
- Dukate, A. (2007). *Manipulation as a specific phenomenon in translation and interpreting*. Riga, Latvia: University of Latvia.
- Engels, F. (1983/2010). *Engels to Franz Mehring in Berlin*. In Marx & Engels Collected Works (Vol. 50): Letters 1892-1895. London, UK: Lawrence & Wishart.
- Geertz, C. (1964). *Ideology as a cultural system*. In D. E. Apter (Ed.), *Ideology and discontent*. New York, USA: Free Press.
- Guillaume, A. (2017). *Traduction et implicites idéologiques*. *Texto! Revue électronique*, 22(3), juillet. Institut Ferdinand de Saussure. Disponible à l'adresse : <http://www.revue-texto.net/>
- Gunawan, F. (2022). *The ideology of translators in Quranic translation: Lessons learned from Indonesia*. *Cogent Arts & Humanities*, 9(1), 2088438. <https://doi.org/10.1080/23311983.2022.2088438>

-
- Hatim, B., & Mason, I. (2005). The translator as communicator. London, UK: Routledge.
 - Hermans, T. (1985). Introduction. The manipulation of literature: Studies in literary translation. London, UK : Croom Helm.
 - Meschonnic, H. (1970). Pour la poétique, tome I. Paris, France : Gallimard.
 - Muhammad Ali, M. (1990). Le Qur'ân Sacré : Texte arabe et version française de la traduction et des commentaires en langue anglaise (Traduit de l'anglais par Gilles Valois). Montréal, Canada: Ahmadiyyah Anjuman Isha'at Islam (Lahore) Inc.
 - Niranjana, T. (1992). Siting translation: History, post-structuralism, and the colonial context. Berkeley, CA, USA: University of California Press.
 - Ricœur, P. (1997). *L'idéologie et l'utopie*. Paris, France: Seuil.
 - Venuti, L. (1995). The Translator's Invisibility: A History of Translation. London, UK: Routledge.
 - Yousof, A. M. M. (2020). Domestication versus foreignization in the translations of Shakespearean sonnet "Shall I Compare Thee to a summer's Day?" into Arabic. Bulletin of the Faculty of Arts, 57 (2), 75.
 - Žižek, S. (2009). The sublime object of ideology (2nd Ed.). London, UK: Verso.